الإحياء الشعري في المشرق (2)

أحمد شوقي:

عرف شعره أوجه متعددة فهناك المعارضات التي عارض فيها القدامى، وكذا المديح الذي مثل ثلث شعره، والغزل والنسيب الذي احتل مقدمات القصائد أو استقل بالنص الشعري كله، ثم الرثاء الذي جعله تكريما لعظماء المجتمع وقادة الفكر وآل القصر، والوصف الذي غلب على الجزء الثاني من ديوان الشوقيات، ويجاور الوصف شعر المناسبات الاجتماعية أو الفكاهية التي لا تخلو من السخرية.

خصائص شعر شوقي

- حافظ شوقي على تراث الشعر العربي والتزم بعمود الشعر ثم عمل عل تطوير شعره. وحاول أن يتلخص من الضعف الذي أصاب الشعر العربي في العصور المتأخرة.
- تميز شعر شوقي بعمق التجربة فتوافرت فيه الحكمة والتاريخ والواقع فكتب شوقي في أغراض مختلفة المدح والرثاء والوصف وأشأ الشعر التاريخي والاجتماعي والسياسي والملحمي والإسلامي والتمثيلي
- احتل الشاعر مكانة مرموقة في عصره وكان رائد الكلاسيكية الجديدة وآخر الشعراء المقلدين
- أكثر الأغراض ورودا في شعر شوقي غرض المدح
- للوصف في شعر شوقي نصيب كبير وفي وصفه روائع حلق بها إلى آفاق بعيدة، ويعتبر من أبرع الوصافين في عصر النهضة وبخاصة من حيث الصور المادية التي كان بها أكثر توفيقاً منه في الصور المعنوية. ومن وصفه القديم كوصف الخمرة والمرأة والطبيعة
- أولى الشاعر الشعر التاريخي عناية بالغة فتحدث عن تاريخ مصر وعن أهم الأحداث التي عرفتها وابتكر بقصائده المطولة الشعر الملحمي
- نظم الشاعر في الشعر الإسلامي فتحدث عن الإسلام وعن حياة الرسول وسيرته وعن شرف القرآن ومنزلته وعن أبطال الإسلام وأعلامه
- أنتج شوقي نمطا شعريا جديدا هو الشعر التمثيلي فكتب كليوباترا وعنترة ومجنون ليلى وعلي بك الكبير.
- **التقليد في شعره:**

عاصر شوقي مدرستي الإحياء والتجديد فكان مقلدا في بداية حياته الشعرية فحاول إحياء التراث وعصر عصارة الحضارة العربية

يبدأ بتقليد نونية ابن زيدون منذ مطلعها:

أضْحَى التّنائي بَديلاً عنْ تَدانـــــي بِنَا وَنَابَ عَنْ طيبِ لُقْيانَا تجافينَا
ألاّ وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ، صَبّحَنا حَيْنٌ، فَقَامَ بِنَا للـــــــــحَيْنِ نَاعينَا

فأنشأ قصيدته نونية من وزن قصيدة ابن زيدون ورويها، فصنع شوقي مثل ذلك وجعلها ضريعه وماثلة ذاكرا فيها مصر ومطلعها:

يا نائحَ الطَلحِ أَشباهٌ عَواديـــــنا نَشجى لِواديكَ أَم نَأسى لِواديـــــنا
ماذا تَقُصُّ عَلَينا غَيرَ أَنَّ يَـــدا قَصَّت جَناحَكَ جالَت في حَواشينا
رَمى بِنا البَينُ أَيكاً غَيرَ سامِرِنا أَخا الغَريبِ وَظِلّاً غَيرَ نادينـــــــنا

وقد قلد شوقي البصيري في بردته وأشار في نصه أنه ليس معارضا وإنما غابط:

اللهُ يَشْهَدُ أنّي لا أُعَارِضُـــــــهُ مَنْ ذا يُعَارِضُ صَوبَ العَارِضِ العَرِمِ
وإنَّمَا أنا بعضُ الغَابطينَ ومَـنْ يَغْبِطْ وليَّـك لا يُـذمَمْ، ولا يُـــــــلَـمِ

وهذه بعض أوجه الشبه بين النصين:

البصيري	شوقي
يا لائِمِي في الهَوَى العُذْرِيّ مَعْذِرَة منّي إليكَ ولو أنصفتَ لم تلُمِ مَحَّضتَنْني النُّصحَ لكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ إنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذّالِ في صَمَمِ	يا لائِمي في هَواهُ وَالهَوى قَدَرٌ لَو شَفَّكَ الوَجدُ لَم تَعذِل وَلَم تَلُمِ لَقَد أَنَلتُكَ أُذناً غَيرَ واعِيَةٍ وَرُبَّ مُنتَصِتٍ وَالقَلبُ في صَمَمِ
وَاسْتَفْرِغِ الدمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَد امْتلأت مِنَ الْمَحارِمِ وَالْزَمْ حمْيَةَ النَّدمِ	رَكَضتُها في مَرِيعِ المَعصِياتِ وَما أَخَذتُ مِن حِميَةِ الطاعاتِ لِلتُخَمِ.
مَن لي بِرَدِّ جِمـاح مِن غَوَايتِهَـا كما يُرَدُّ جماحِ الخيـل باللُّـجُمِ.	تَطغى إذا مُكِّنَت مِن لَـــــذَّةٍ وَهَـوىً طَغيَ الجِيادِ إذا عَضَّت عَلى الشُكُـــمِ.

وَلَمْ أردْ زهْرةَ الدنْيَا الَّتي قَطَفَت يَدا زهَيْر بمَا اثنْى عَلَى هَرِم	يُزري قَريضي زُهَيرًا، حينَ أمدَحُهُ وَلا يُقاسُ إلى جُودي نَدَى هَرِمِ.

وكتب الشاعر مرثية حاول أن يحاكي بها المتنبي، فجاءت فارغة جوفاء أو مسروقة محرفة يقول المتنبي:

ألا لا أُري الأحتــداثَ حَمْــدَاً ولا ذَمّا فَما بَطشُها جَهلاً ولا كفُّها حِلمَا
إلى مثلِ ما كانَ الفتى مرْجعُ الفتى يَعُودُ كمَا أُبْدِي ويُكرِي كما أرْمَى
لَكِ الله مِنْ مَفْجُوعَــــةٍ بحَبيـــــبِها قَتيلَةِ شَوْقٍ غَيرِ مُلحِقِها وَصْمَا

ويقول شوقي:

إلى حَيثُ آبـاءُ الفَتى يَذهَبُ الفَــتى سَبيلٌ يَدينُ العالَمــــونَ بِهـا قِدمـا
وَما العَيشُ إلّا الجِسمُ في ظِلّ روحِـهِ وَلا المَوتُ إلّا الروحُ فارَقَتِ الجِسمـا
وَلا خُلدَ حَتّى تَمـلَأَ الدَهرَ حِكـــــمَةً عَلى نُـزَلاءِ الدَهرِ بَعدَكَ أَو عِلـــمـا

حافظ إبراهيم:

نال حافظ إبراهيم شهرة واسعة، ولقب بشاعر النيل لرقي شعره، على الرغم من كون شوقي أكثر منه تنوعا، مع عدم التزامه بنهج واضح في الحياة يعتمد الانضباط والتوازن، ويوصف حافظ بأنه شاعر الوطنية وصوت الشعب، فقد كانت له بصمة خاصة في إثراء النزعة الوطنية في الشعر الإحيائي.

وحين نوازن بين حافظ وشوقي نقول: إن شوقي كان أعمق ثقافة من حافظ، وأخصب ذهنا وأذكى قلبا وأنفذ إلى دقائق معاني الشعر من حافظ إبراهيم، والسبب أن ما أتيح لشوقي من طرق ووسائل النحو الفكري والذهني لم يتح لحافظ، ذلك أن تربية وبيئة الرجلين مختلفة...فحافظ نشأ نشأة شعبية خالصة فقيرة، وكانت حياته بعيدة عن التعقيد، بينما شوقي اختلط مع العرب والترك واليونان.

خصائص شعره:

الأسلوب القصصي في شعره: اتخذ حافظ من الأسلوب القصصي سبيلا لطرح عديد من القضايا، فكان حريصا على بعث أفكاره بغير لسانه، فإذا أراد أن يتحدث عن أمجاد مصر تركها هي تتكلم بلسانها.

التشخيص: ينتج عن تواري الشاعر خلف ألسنة أخرى تشخيص غير العاقل، سواء كان معنويا أو محسوسا، فقد جعل اللغة العربية شخصية تتحدث عن مأساتها، وما تتعرض له من الأعداء، حتى إنها استصرخت قومها للأخذ بيدها فقال:

سِعْتُ كِتابَ اللهِ لَفــــظاً وَغايَـــــةً وَما ضِقْتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظـــاتِ
فَكَيفَ أَضيقُ اليَومَ عَن وَصفِ آلَةٍ وَتَنسيقِ أَسْمـــــاءٍ لِمُختَرَعـــــاتِ
أَنا البَحرُ في أَحشائِهِ الدُرُّ كـــامِنٌ فَهَل سَأَلوا الغَوّاصَ عَن صَدَفاتي
فَيا وَيحَكُم أبلى وَتَبلى مَحاسِنـــي وَمِنكُم وَإِن عَزَّ الدَواءُ أَساتـــي
فَلا تَكِلوني لِلزَمانِ فَإِنَّني أَخـــافُ عَلَيكُم أَن تَحِـــينَ وَفاتـــي

التأثر الواضح بالشعر العربي القديم : كان حافظ محبا للأدب، ولوعا بحفظ الشعر العربي، يسعى إلى حوانيت الوراقين بحي الأزهر يفتش عن دواوين الشعر العربي، وينكب عليها يستوعب ويحفظ.

قلة نظمه في الغزل: لم يبدع حافظ للجمال الأنثوي صورا في شعره، ولم يصف شيئا من أشواق الرجل على نحو ما فعل غيره من الشعراء.

كثرة الشكوى في شعره:نشأ حافظ نشأة يكنفها البؤس ويغشها الشقاء فضاقت الدنيا أمام ناظريه وأخذ يشكو قائلا:

سَعَيْتُ إلى أنْ كِدْتُ أَنْتَعِلُ الدَّما وعُدْتُ وما أعقبتُ إلاَّ التَّنَـــدُّمَا
سَلامٌ عَلى الدُنيا سَـــلامَ مُوَدِّعٍ رَأى في ظَلامِ القَبرِ أُنساً وَمَغنَما

قلة الخيال في شعره: لم يبرع الشاعر في استخدام الخيال ولم يكن ذا خيال خصب قادر على الابتكار؛ لأن افتتانه كان حسيا أكثر منه روحيا، على أن أبرز الصور في شعره الاستعارة غير أن صوره الفنية الجمالية قليلة.

توظيف النص القرآني: وظف الشاعر عديدا من القصص القرآني، فاحتوى شعره جوانب من قصة يوسف عليه السلام وقصة موسى وكثير من لفظ القرآن ومعانيه.

التناص الذاتي: عمد الشاعر إلى تكرير ما كان يعجبه من الصور والعبارات التي يستخدمها، وهكذا يظل التعبير الذي يروقه نصب عينيه محفورا في ذاكرته.
توظيف التاريخ بشكل محدود: لم يعن حافظ بالتاريخ كما فعل معاصره شوقي، غير أثريات قليلة أهمها "العمرية" التي تحوي جوانب من حياة عمر ابن الخطاب.

<u>التقليد في شعره:</u>
تأثر حافظ بالمعري فعارضه في مرثيته الشهيرة في رثاء الفقيه الحنفي والتي مطلعها:
غيرُ مجدٍ في ملّتي واعتقادي نوح باكٍ ولا ترنم شاد
ونسج على منوالها وزنا وقافية مرثيته في سليمان أباضة:
أَيُّهَذَا الثَرى إلامَ التَمـــــادي بَعدَ هَذا أَأَنتَ غَرثانُ صادي؟
ويبدو أن الشاعر لم يكتف بالمماثلة العروضية، كما هو جار في حكم المعارضات، وإنما حاكى الصور والأخيلة أيضا:
لَستُ أَدعوكَ بِالتُرابِ وَلَـــــكِن بُقُودِ المِلاحِ وَالأَجـــــــيادِ
بِخُدودِ الحِسانِ بِالأَعيُنِ النجـ ل بتلك القلوب والأكـــباد
فما ورد في البيتين السابقين ليس إلا تفصيلا وعرضا لما قاله المعري:
خَفِّفِ الوَطْء ما أَظُنّ أَدِيمَ الــ أَرْضِ إلاّ مِنْ هَذِهِ الأَجْسادِ
ويحدث حافظ العرب بذات قول المعري في قوله:
لا تَطْهُر الأَرْضُ *من* رِجْسٍ ومن دَرَنٍ. حتّى يُعاوِدَها (نُوحٌ) بالطُوفانِ
فما ذلك إلا ترديد لما قاله المعري:
وَالأَرضُ لِلطوفانِ مُشتـــــــــــــــاقَةٌ لَعَلَّها مِن رَدَنٍ تُغـــــــــسَلُ
وقد تأثر شاعرنا بمجنون ليلى فحاكى قوله:
أبيتُ اسألُ نفسي كيف قاطعني هذا الصديقُ وما لي عنه مُصطبرٌ
فما مُطوقةٌ قد نالـــــها شـــرَكٌ عند الغُروبِ إليه ساقـــها القـــدرُ
باتتْ تُجاهدُ همّا وهي آيســـــةٌ من النجاةِ وجُنحُ الليلِ معتـــــكرُ
وباتَ زُغلولُها في وكرها فَـــزِعاً مُروّعاً لرُجـــــــــوعِ الأمِّ ينتـــــظرُ
يُحَفز الخوفُ أحشاهُ وتُزعجُـــه إذا سرتْ نسمة أو وسوَسَ الشجَرُ
منّي بأسوَأَ حالاً حين قاطعَنـــي هذا الصديقُ فهّلا كان يَـــــــــذكِرُ
فقوله السابق تقليد واع لما ورد في قول قيس بن الملوح:
كَأَنَّ القَلْبَ لَيْلَةَ قِيلَ يُغْدَى بِلَيْلَى العَامِرِيَّةِ أَوْ يُـــرَاحُ
قَطَاةٌ غَرَّها شَرَكٌ فَبَـــاتَتْ تُجاذِبُهُ وَقَد عَلِقَ الجَناحُ
لها فرخان قد تُركا بوكـــرٍ وعشّهما تُصفقه الرّيـــاح
ويأخذ حافظ إبراهيم من قول أبي تمام أيضا متأثرا بقصيدته المشهورة في مدح المعتصم:
لَهُ صَريرٌ إذا جَـــــدَّ النـــــزالُ بِـهِ يُنسي الكُماةِ صَليلَ البيضِ وَالقُضُبِ
فلو رآهُ (ابنُ أوْسٍ) ما قَرَأْتَ *له*: (السَّيْفُ أَصْدَقُ أنباءً من الكـــــتب)
وفي القصيدة ألفاظ استدعاها الشاعر من نص أبي تمام أيضا كقوله:
أَلَمْ يَكُنْ لِبَني (مِصْرٍ) وقد دُهِمُوا من ساسَةِ الغَرْبِ مِثْلَ المَعْقِلِ الأَشِبِ

تلكم هي رحلة التقليد التي سلكها شعراء المدرسة الإحيائية، غير أن لهم في التجديد إسهام بارز في الشعر التاريخي والاجتماعي والتمثيلي سنأتي إلى بحثه في الدروس اللاحقة.